عنه اقرار برنامج النقاط العشر وتطويراته في السنوات اللاحقة، خطت اكبر خطواتها التاريخية على طريق تأكيد وجودها السياسي والعسكري، وانتزاع الاعتراف العربي والدولي بحقوق الشعب الفلسطيني، وبكون منظمة التحرير هي ممثلته الشرعية الوحيدة، وهي المسؤولة عن صياغة مستقبله وقيادة نضاله في معركة تقرير المصير وبناء دولته المستقلة.

والنجاحات التي تحققت في هذا المجال، كانت اكبر من ان يتجاهلها ايما طرف من الاطراف المعنية بالامر. وإذا كانت القاعدة التي استندت اليها هذه النجاحات قد تمثلت، اساساً، في غلبة النهج الايجابي ونبذ الرفض والعدمية والامراض الاخرى التي اعتورت الفكر السياسي والعمل السياسي الفلسطينيين، فإن اسلوب قيادة منظمة التحرير في إدارة الصراع، في هدي هذا البرنامج، كان سبباً في تحسين المكاسب وتوسيعها. وهو الاسلوب الذي تميز بالتعاطي الايجابي مع الجهود التي تستهدف صياغة تسوية عادلة، واتسم بالتشدد في التمسك بالمبادىء والحقوق الاساسية، مع المرونة في التفاصيل.

وإذا كانت الاغلبية الفلسطينية ما فتأت تشيد بمزايا هذا الاسلوب وتقدر النجاحات التي تحققت تقديراً ايجابياً كبيراً، فان الاقلية، التي لم تتحرر من امراض الرفض والعدمية والتي راحت تبحث عن النقط السوداء في أية صفحة مشرقة، كانت هي الاخرى مضطرة عند المنعطفات الحادة المشهورة، الى الاقرار بمزايا النهج الايجابي وبكفاءة قيادة المنظمة. وآخر الامثلة التي يمكن ايرادها بهذا الصدد مواقف الفصائل الفلسطينية كافة ابان حصار بيروت عام ١٩٨٢. فقد اجمعت هذه الفصائل على الاشادة بالكفاءة العالية لقيادة منظمة التحرير، وخصوصا بكفاءتها منقطعة النظير في إدارة مفاوضات فك الحصار عن بيروت وخروج المقاتلين الفلسطينيين منها. ففي تلك الايام التي كان الخطر فيها يهدد الرؤوس كلها تهديداً مباشراً، ارتفعت الاصوات كلها، بغير استثناء، لتشيد بياسر عرفات وبمقدرة القائد العام للثورة الفلسطينية على المواءمة بين الاداء العسكري والمفاوضات وجعل كل منهما في خدمة الآخر. ولم يرتفع صوت واحد الا ليلهج بالثناء على القائد العام، الذي اعتبره الجميع قادراً على ايجاد المخرج الكريم من المأزق المستحكم.

لكن اوقات الخطر الشديد، التي من هذا النوع، لا تتيسر كل يوم. وهكذا، ما أن أنفك الحصار وانتشر القوم في اصقاع العروبة، حتى عاد الى الرافضين رفضهم، والى العدميين عدميتهم. وتكونت من جديد الاقلية المألوفة التي تتعيش برفضها الخاص وتستجلب المنافع بمجاراتها، ايضا، للرفض العربي.

وما كان من شأن هذا ان يشكل أي خطر جديد، لو أن الاحوال التي اعقبت الخروج من بيروت كانت احوالاً عادية. فقد الفت منظمة التحرير، منذ ما بعد ايلول ١٩٧٠، وجود نهجين في صفوفها وفي صفوف فصائلها المتعددة.

الا ان المرحلة المستجدة حملت مخاطر جديدة انضافت الى المخاطر السابقة المتراكمة؛ واولها، وابعدها اثراً على مجرى العمل الوطني الفلسطيني، مخاطر الذين رأوا الفرصة مواتية لانتزاع زمام المبادرة في صياغة المستقبل الفلسطيني من يد منظمة التحرير، والاستحواذ على الورقة الفلسطينية لاستخدامها بطرقهم الخاصة وفق رؤيتهم هم لمصالحهم ولمصالح الفلسطينيين. والحقيقة ان عرباً كثيرين كان من شأنهم ان يبادروا لاغتنام فرصة كهذه، مستفيدين من ضعف المنظمة بعد فقدها لقواعدها المستقلة في لبنان وبعد الضربة العسكرية التي تلقتها وبعد تشتتها في اصقاع العروبة. والحقيقة، ايضا، ان عدداً من الاطراف العربية، الذين في نفوسهم هذا المرض، قد حاول تحسين نفوذه وقدرته على التأثير في المصير الفلسطيني. لكن تنبه منظمة التحرير الفوري الى المخاطر المستجدة بعد الخروج من بيروت، ومبادرتها العاجلة لترتيب الاوضاع الجديدة باسرع ما يمكن ومواجهة التدخلات الشقيقة باحزم ما يمكن، احبط